دراسة عن اسخيلوس

٢ ـ الفـــرس

Persae

للأستاذ دريني خشبة

— ٤ —

وتبدى الملكة مخاوفها على ابنها حينما تذكر اندحار جنود زوجها فى حربه مع هيلاس ، ثم يصمت الجميع حينما يلمحون فى ظلام البعد فارساً أعجمياً يطوى الأفق ، مقبلاً من الغرب ، وهو مقبل لا شك من ميدان القتال ...

(يدخل الرسول)

— « السلام على كرام سوس و ... و ... بلاط الأ... »

— « ماذا بك أيها الرسول ؟ ! تكلم ... ما وراءك ؟ »

— « ... يا لشؤمى ! ... أشأم من الشؤم نقل أخبار الشؤم يا سادة ! ... »

— « أى شؤم أيها الرسول ؟ ... تكلم ... تكلم ... »

— « الجيش ... ! »

— « الجيش ؟ ما للجيش ! »

— « تبدد ! ... استؤصلت شأفته ... وشالت نعامته ! »

— « يا للكارثة ! ... أسعدى يا دموع الفرس ! يا للمجد العاثر ، والمجد الغابر ، والسلطان المهيض ! »

— « طاشت الآمال ، وخابت الأمانى ... والتهمت النيران عزة فارس ! »

— « يا ويح لنا ! ! يا رحمة لك يا دارا ؟ أهكذا خلفتنا لنشيخ مع الزمان ، وليرزح مشيبنا تحت هذا الضغث من الأشجان ؟ ... يا للهم الفاجئ ، والضربة اللازبة !

— « لقد رأيت كل شىء ! وخضت المعمعة مع الخائضين .. يا للشجو ... يا للشجو ! »

— « الجيش ؟ تحطمت قوة فارس ! ويلاه ! ألهذا الدمار حشدت زهرة بنينا ؟ ... الحول والطول ، والقوة والجبروت ، والعَدد والعُدَد ... طاشت جميعاً ؟ ... »

— « لقد طفت جثثهم فى اللجة الدامية عند سلاميس ! ولم تنفعنا الجحافل ذات العَدد والعُدد ! ما أبغض هذا الاسم ! سلاميس ... سلاميس ! وآثينا ! يا للذكريات السود ! »

وعيل صبر أتوسا ، فسألت الرسول أن يقص الخبر كاملاً كما وقع ، فانطلق يروى المأساة ، ويصور الهزيمة ، برغم تفوق الفرس على اليونانيين فى العدد ، وبرغم أن لهم أسطولاً ينيف على ألف سفينة كاملة العدة ، فى حين لم يكن لهيلاس كلها غير ثلثمائة ... « ... ثم انقضت سفنهم على أسطولنا الضخم فأوقعت به وأعملت النيران فيه ، وكنا ننظر فى الأرض فنجد جندا ، وفى البحر فنجد جندا ، وفى السماء فنجد جندا ... وأنا لا أقول إلا أن آلهة أثينا كانت تدافع عن أوطانها مع الأثينيين ... وهكذا تمت هزيمتنا ... وقتل كل قادتنا ، ولاذت الفلول القليلة التى أفلتها القتل بالفرار ... » ... وكان الرسول بارعاً أيما براعة حينما ذكر هتاف اليونانيين بجنودهم فوق الشاطئ : « أيها اليونانيون هلموا ... ! أنقذوا هيلاس ، وخلصوا أطفالكم ونساءكم ، واحفظوا قبور آبائكم ، واحموا هياكل أربابكم ،

الآن تذكرت ، الآن تذكرت ، أنت الفتاة اللعوب أنيسة .. وكنا جيرانكم فى بيت واحد وقد قبضت عليك مرة متلبسة بسرقة رمانتى وقد استبدلتها بتفاحة من عندك ، وفى مرة أخرى رأيتك تدسين فى محفظة كتبى قلماً رصاصياً وصورة بديعة للعذراء مريم

تضاغطت شفتاها فكتمتا ابتسامة حلوة وقالت : نعم أنا هى أنيسة وقد كنت لا تنفك تتحداها بتلاوة الكلمات الفرنسوية وتركيب جمل منها

أوه يا أنيسة كم أنت طيبة القلب فقد وضعت اسمى فى مقدمة الأسماء التى أزمعت على مقابلة أصحابها بعد الغياب الطويل ، أما أنا فقد نسيتك لتقادم العهد وجور السنين ، وقد طوحت بنا فى قطرين متباعدين . . . . . وكدت أخبط فى الحديث معها وفى استعادة ذكريات الطفولة ، لولا نظرة مستسرة غامضة لمحتها فى عينى صاحب العمل وقد مر بنا فى هذه الفترة فطويت الكلام واختزلت الحديث ورجوتها أن تدلنى على الفندق لأقابلها فى المساء لنتعشى معاً

أدركت موقفى فمدت يدها للوداع قائلة : أنتظرك على شرفة « الكونتنتال » وقد قرأت على قسمات وجهها أمارات عاطفة رقيقة حلوة فيها هدوء النفس المطمئنة وخلوص السريرة »

(البقية فى العدد القادم) حبيب الزمورى

وأقداس آلهتكم ... من العبودية ! ! قاتلوا ! وفى سبيل الوطن من استشهد منكم ! ! »

— ٥ —

وكان الرسول لم ينته من سرد قصته بعد ، حين صرخت أتوسا المرزأة ، وحين تناوح المشائخ النجب من هول ما سمعوا

قال الرسول : « وليس هذا فقط يا سادة ، بل هناك مصيبة المصائب لما يجيء ذكرها بعد . . . »

— « وأية مصيبة أهول مما سمعنا أيها الرسول ! . . . قل ، تكلم ! »

— « ذؤابة الجيش . . . النبلاء . . . مجلس شـــورى الأمبرطور ... لقد كانوا يشرفون على المعركة من ربوة فى جزيرة عند سلاميس . . . وما كادت النهاية المحزنة تتم حتى أحدق بهم اليونانيون من كل فج ، فزقوهم إرْباً إرْباً ، وساروا برؤوسهم فوق أسنة الرماح يتغنون وينشدون ويهتفون . . .

— « والأمبراطور ! »

— « لاذ بالفرار يا سادة ، فى بعض الكواكب التى نجت قبيل النهاية ! »

— « وفلول الجيش ! »

— « من لم يذق كأس الردى فى المعركة ، تشرد فى آفاق هيلاس ، ومات من جوع ومن ظمأ . . . لقد كانت الفصائل تهيم على وجهها فى برية موحشة ، فاذا بلغت إحدى مدائن اليونان أبى أهلها أن يطعموها . . . فتموت جوعاً ! »

— « ثم ؟ . . . »

— « ثم عبرت البقية الباقية النهوكة مياه الهلسپنت ، على أن الأكثرين ماتوا ثمة غرقاً . . . لأن آلهة الأولمب أرسلت العاصفة على قنطرة السفن الضخمة فغاصت بمن عليها فى الأعماق . . . »

وتكون الأمبراطورة المحزونة قد بلغ بها الجهد ونال منها الأسى ، فتذهب لتقرب للآلهة وتصلى لأربابها عسى أن تخفف من أثر الفاجعة ، وتوصى ، إذا وصل ابنها الأمبراطور قبل أن تعود أدراجها ، أن يتلقوه بالبشاشة ، وأن يهونوا عليه قدر

— ٦ —

ويفتأ المنشدون — السادة الأشياخ النجب — يبكون حظ فارس العاثر ، وينعون على أجزرسيس سوقه زهرة شبابهم إلى المهالك ، ويذكرون بالخير والأسف امبراطورهم الراحل — دارا ، الذى صان البلاد ووقاها هذه العاقبة السوداء ، التى ردّاها فى أغوارها ولده من بعده ... الأمبراطور الطائش الذى ذهب على وجهه بعد الهزيمة ميمما شطر الهلسپنت ليهرأه البرد ، ويعصره شتاء أپيدوس القارس . . . ثم يستهولون العاقبة التى تتبع الهزيمة الروعة من غير ريب ... وإنها لابد آتية ... فسينتقض الناس على عرش فارس وستثور الولايات . . . وتستقل مصر . . . وتخلع ليديا نير الأعاجم ... وتنتثر حبات العقد . . . وقد تتحطم الواسطة نفسها

وفيما هم يتناجون ويتباكون ، إذ تقبل آتوسا البائسة ! وهى تقبل هذه المرة لتذرف دموعها كرة أخرى . . . وهى تقبل مترجلة . . . لا تحملها عربتها الملكية المسرجة . . . ولا تجرها الخيول الفارسية المطهمة . . . « لأنه لا أبهة لهذا البلاط بعد اليوم ، ولا صولة ولا صولجان . . . إن المخاوف تحدق بى . . . والوساوس تصرخ فى وجهى ، وتملأ صيحاتها المنكرة أذنى ... وقد حملت اضحية لروح زوجى ، وقرباناً من اللبن الأبيض ، وشهداً اشتاوه نحل آذار . . . وخمراً . . . عتقتها أحداث المجد التالد ... وزيتاً من تلك الزيتونة الشرقية الوارفة ... التى يا طالما تفيأ ظلالها دارا . . . ووروداً ورياحين ، ومن كل ما تنبت الأرض . . . »

— ٧ —

ويصلى الجميع على روح دارا . . .

وينشدون نشيداً طويلا كله ثناء وكله حمد ... وينتهلون الى روح عاهلهم الراحل أن تطلع عليهم من عليائها لتخفف من أحزانهم ، وترفه عنهم من أشجانهم

— « هلم ! هلم يا مولانا العظيم الينا ! إن ظلمات الأسى تغشى قلوبنا فاقشعها بسنى فضلك وضياء حكمتك ! هلم فقد أودى شبابنا فى العاصفة الهوجاء ! هلم ! إننا نركع أمام قبرك ، فابدُ لنا ، وأدرك امبراطوريتك ! »

(يبدو شبح دارا)

(لها بقية)

دريني خشبة